Studies in Spirituality - Weekly Torah Portions by Rabbi Lord Jonathan Sacks zt"l

في رِحاب التّوراة

دِراساتٌ وحِواراتٌ روحانيّة مُعمّقة في النّصوصِ التّوراتيّة الأسبوعيّة مع الحاخام جوناثان ساكس

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University*

Jonathan Sacks
THE RABBI SACKS LEGACY

The Original text in English and translations to other languages can be found here:
Covenant & Conversation | Bamidbar | The Sound of Silence | The Rabbi Sacks Legacy

"بَمِدبار" هو النصُّ الأسبوعي الأوّلُ من كِتاب "بَمِدبار" (أي سِفر العدد)، وهذا النَّص الأسبوعي يحمل نفس العنوان الذي يحمله اسم هذا الكتاب. يبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية الأولى من المقطع الأول ويَنتهي بِالآية العشرين من المقطع الرابع.

صَوتُ السُّكون

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*

يُقرأُ هذا النصُّ الأسبوعيّ من نصوص التوراة عادةً خلال يوم السبت (الشّبات) الذي يسبِق حُلول عيد الشفوعوت (عيد الأسابيع)، لهذا ربط كِبار الحاخامات بين الأمرين، فَعيد الشفوعوت يمثّل الفترة الزمنية التي منَحنا اللهُ فيها التوراة، وكلمة **"بَمِدبار"** تَعني "في الصحراء" في اللغة العبرية. لكن السؤال الذي يطرحُ نفسه هُنا: ما العلاقة بين الصحراء والتوراة، بين الخَلاء المُقفِر وكلام الله عزّ وجلّ؟

لقد وضع كبار الحاخامات عدة تفاسير لهذا الأمر، فمِن وجهة نظر الـ"مِخيلتاه"* فإنّ اللهَ عزّ وجلّ قد منحنا التوراةَ نهاراً جهاراً وعَلى الملأ، وفي أرضٍ لا تعودُ ملكيّتها لأحد، لأنه لو منحنا التوراة في أرض يسرائيل لقال اليهودُ لباقي البشر: "ليسَ لكُم أي نَصيبٍ فيها". لهذا فإن مَن يريدُ أن يقبلَ التوراة فالخيارُ متروكٌ له لأن التوراة ليست حِكراً على أحد [1]. وهنالك تفسيرٌ آخر يقولُ بأنه في حال منحَ اللهُ التوراةَ لليَهود فوق أرض يسرائيل، لكانَ هذا عُذراً لباقي البشر في العالم حتى يعترضوا على قبولها، ويُمكن ربطُ هذا التفسيرِ بأحد المُعتقدات الحاخامية التي تقولُ بأن الله عزّ وجلّ قد عَرَض التّوراة على جميع

*** مُلاحظة توضيحية من المُترجم:** مخيلتا هي كلمة آرامية يُقابلها في المعنى الكلمة العِبرية "ميداه" والتي تعني المِقياس أو القانون، وفي هذا السياق فإن المقصود بها هو تشريعات مُعيّنة تختصّ بالتفاسير النقديّة للنصوص الدينية الموجودة في التناخ (الكتاب اليهوديّ المقدس)، والتي تُستخدم في التفاسير المِدراشية التي تتطرّق للهلاخاه (قوانين الشريعة الدينية اليهودية). وبالرغم من وجود بعض الأعمال المشابهة التي يُطلق عليها اسم "مخيلتوت" إلا أن كلمة "مخيلتا" بحدّ ذاتها تستخدم للتعبير عن مجموعة التفاسير المدراشية التي تتطرّق للقوانين الشرعية اليهودية الموجودة في سِفر الخروج على وجه التحديد والتي يُطلق عليها أيضا "مخيلتا ديرابي يشمَعئيل" (المقصود بيشمَعئيل هو الحاخام يشِمَعئيل بن إليشَع الذي كان من الحاخامات المُعاصرين للحاخام اليهودي الكبير عَقيفا). لكن من المُستبعد أن يكون الحاخام يشِمَعئيل هو الذي قام بإعداد وتجميع محتوى النسخة الختامية للمخيلتا بمفرده، لكن عدداً كبيراً من تفاسيره موجود بالفعل في المخيلتا، ناهيك عن أن عدداً لا بأس به من تفسيرات المِدراش للقوانين الشرعية اليهودية تتفق مع مدرسته الفِكرية للتفسير بالإضافة إلى أنها تتفق مع تفاسير الحاخام يشمعئيل وتلامذته وتابعيه، وبذلك فهي تحتل قدراً كبيراً من كتاب المخيلتا خاصته. وبجميع الأحوال فإن نسبة كبيرة من مُحتوى المخيلتا تتضمن مِدراش الأغاداه الذي يتطرّق بإسهاب وتفصيل إلى القصص والروايات الموجودة في التّناخ، بالإضافة إلى تطرّق قسم كبير منه إلى الأخلاقيات والقيم والقضايا الأخلاقية على اختلافها.

الشعوب والأقوامَ الأخرى (قبل أن يعرضها على اليهود) لكنهم رفضوا، فكانَوا يختلقون الأعذار والحجج لعدم قبولها [2]. كما فسّرَ البعضُ هذا الأمر على أن الخلاء لا يُكلّف أحداً شيئاً لدخوله، والحال نفسه ينطبق على التوراة التي لا تُكلّفُ أحداً أي شيءٍ لِقُبُولها، ذلك لأنها مِنحةُ اللهِ التي وهبَنا إياها. [3]

لكن هنالك تفسيرٌ يحمل في طياته سبباً أكثر روحانية، وهو أن الصحراء هي أرضُ الصمتِ والهدوءِ والسّكون، إذ ليس بها أي مظهر بصريّ من شأنه أن يُشتِّت انتِباهك، ولا يوجدُ بها أي ضجيج في الأفقِ من شأنه أن يُعكّر صفوَ الهدوء. في الوقت نفسه، لا بدّ أن نُبيّنَ بأن الصحراء لم تكُن هادئة عندما منحَ الله التوراةَ لبني يسرائيل، فكان البرقُ والرّعدُ وصوتُ الشوفار (وهو البوق المصنوع من قرن الأيل أو الكبش)، فبَدا الحالُ حينها وكأنّ أركانَ الأرض ترتجِفُ من هول هذا الموقِف. لكن في وقتٍ لاحِق عِندما وقفَ النبي إيلياهو/إلياس على الجبلِ نفسِه بعد مواجهته لأنبياءِ بَعل، فقد وجدَ اللهَ في صوتٍ خافِتٍ ولم يجده في النار أو العواصفِ أو الزلازل، ووجده تحديداً في **"قُلْ ذْمَامَاهْ دَقَّاه"** أي **"الصوت الخافِت المُنخفِض"** (بحسب ما يذكرُ سِفر الملوك الأول في المقطع التاسع عشر في الآيات 9-12).

إنني أُعَرِّفُ هذا الصوت على أنه الصوتُ الذي بإمكانكَ سماعهُ فقط إذا كُنتَ مُصغياً. ففي خِضَمّ سُكونِ الـ**"مِدبار"** (يعني الصحراء) يُمكِنكَ سماعُ من يتحدّثُ إليك ويُخاطِبُك (**"مِدابِير"** باللغة العبرية)، كما يُمكنك سماعُ صوت الموضوع أو الشخصِ الذي يدور حوله الحديث (**مِدوبار** باللغة العبرية). وحتى تتمكّن من سماع صوتِ الله عزّ وجلّ فإنه ينبغي عليك أن تَجِد السكونَ المُصغِي بين ثنايا روحِك.

وفي هذا السياق أستذكرُ أحد الأفلام الوثائقية التي بثّها التليفزيون البريطاني قبل سنوات عديدة، وهو فيلمٌ يتطرّقُ إلى أعظم الديانات في العالم ويحمل اسم **"البحثُ الطويل"**(*The Long Search*) [4]. وعِندما تطرّقَ الفيلم للديانة اليهودية، بدا المذيع رونالد آيَر مُندهشاً من هول الإرباكِ الذي رآه، خاصة تلك الأصوات العالية التي سمِعها حين كان الطلبة يُجادِلون ويناقشون بعضهم البعض في حلقات الدراسة في المدارس الدينية اليهودية **"بيت هامِدراش"**. وهُنا يوجه المذيع سؤالاً للبروفيسور اليهوديّ الأمريكي الحائز على جائزة نوبل إيلي فيزيل (وهو بالمناسبة أحد الناجين من المحرقة النازية) تعقيباً على هذا المشهد قائِلاً: "هل يوجدُ أي شكلٍ من أشكال من **الهُدوء** في الديانة اليهودية؟"، فيجيبه البروفيسور قائلاً: "اليهودية مليئة بالهُدوء... **لكننا لا نتحدّثُ عنه**".

إن الديانة اليهودية هي عقيدة معنوية تملؤها كلماتُ القداسة، وعبرَ هذه الكلمات خلقَ الله عزّ وجلّ هذا الكون، تماماً مثلما تُخبرنا الآية السابعة من المقطع الثاني من سفر التكوين: **"وقال اللهُ لِيَكُن نورٌ، فَكانَ نور"**. وتبعاً لِتَرجوم (أي ترجمة) أُنكِلوس*، فإن قُدرتنا على الكلام هي التي تجعلنا بشراً، فقد تُرجِمَت فيه الآية السابعة من المقطع الثاني من سفر التكوين **"صَارَ نَفساً حيّةً"** إلى **"صارَ نفساً ناطِقةً"**. إنّ الكلماتَ تخلِقُ وتَصنعُ الكثيرَ، وعبرها يتمُّ التواصل بين البشر، وعلاقاتنا الاجتماعية بسلبياتها وإيجابيّاتها تتشكّل عبر اللغات، لهذا نجِدُ اليهودية تولي اهتماماً كبيراً لمدى قوّة وتأثير الكلمات سواء في بِناء العالم أو هدمه.

ومن هذا المُنطلق، نجد أن الصّمتَ في الكتاب اليهودي المقدس (التناخ)** يحمل في طيّاته مدلولات سلبية بالعادة، إذ

---

* **مُلاحظة توضيحية من المُترجم:** تَرجوم /ترجمة أُنكِلوس (תַּרְגּוּם אֻנְקְלוֹס) هي الترجمة اليهودية الآرامية الرئيسيّة للتّوراة، والتي اعتُمِدت كترجمة رسميّة ثم أصبحت الترجمة الآرامية القياسية للتوراة التي يستخدمها اليهود على نحو يوميّ، بالرغم من أنّ اللغة الآرامية لم تعُد مُستخدمة من قبل غالبية اليهود. وترجمة أنكِلوس تُنسَبُ إلى أحدِ نُبلاء الرومان الذي اعتنقَ الديانة اليهودية ويُدعى أنكِلوس، حيث عاش في القرن الأول قبل الميلاد (بين عامي 35 –120 ق.م). كرّس أنكِلوس حياتهُ لدراسة التوراة وأصبَح من أتباعِ الحاخام إليعيزَر بن هورقانوس والحاخام يهوشوع بن حَنانيا. هنالك قصة معروفة عَن أنكِلوس وعمّه الذي كان إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية، حين نصحهُ بأن يمضي قُدُماً في البحثِ عن أمرٍ ليس بتلكَ القيمة في تلك الفترة لكنه سيُصبح في غاية القيمة مُستقبلاً، فمَضى أنكِلوس باحثاً عن هذا الأمر ووجدَ الديانة اليهودية.

** **مُلاحظة توضيحية من المترجم: التَّناخ** هي كلمة تختصرُ الحروف الثلاثة الأولى من كلمات "توراة، نڤيئيم، كتوڤيم"(أي التوراة والأنبياء والكتابات)، ويُقصد بكلمة تناخ الكتاب اليهوديّ المقدس الذي يضم أسفار التوراة الخمسة (سفر التكوين وسفر الخُروج وسِفر اللاويين وسِفر العدد وسِفر التثنية)، بالإضافة إلى أسفار الأنبياء (وهي ثمانية أسفار: سِفر يوشَع، وسِفر القُضاة وسِفر صموئيل الأول والثاني وسِفر المُلوك الأول والثاني وسِفر إشعياء وسِفر إرميا وسِفر حزقيال، وسِفر اثني عشر الأنبياء الاثني عشر الأواخر. ويُضاف لها أسفارُ الكتابات، والتي تضمّ الهاغيوغرافيا، أي كُتُب السيرة الخاصة بالكهنة وكبار الحاخامات والشخصيات العظيمة في الديانة اليهودية، والتي تضمّ أحد عشر كتاباً، وهي سِفر المزامير، وسِفر الأمثال، وسِفر أيوب، وسِفر روث (راعوث)، وسِفر نشيد الإنشاد، وسِفر الجامِعة، وسِفرُ مراثي إرميا، وسِفر أستير، وسِفر دانيال، وسِفر عِزرا ونحميا، والجُزء الأخير من التَّناخ يضم أسفارِ تدوين التاريخ. بالتالي يضمّ التناخ بين ثناياه أربعة وعشرين سِفراً (كتاباً).

توضح التوراة كيف "**كان أهارون/هارون صامِتاً**" عقِب وفاة ابنيه نَدّاف وأڤيهو (بحسب ما هو مذكور في الآية الثالثة من المقطع العاشر من سِفر اللاويين).

وحالةٌ مُشابهةٌ من الصمت مذكورةٌ في سِفر المزامير في المقطع 115: "**ليس الأموات يسبِّحونَ اللهَ، ولا مَن ينحدِرُ إلى أرضِ السُّكوت**". والحال نفسه ينطبق على ما تذكره الآية الثالثة عشر من المقطع الثاني من سِفر إيّوف/أيوب والتي تقول:" **وَقَعَدُوا مَعَهُ عَلَى الأَرْضِ سَبْعَةَ أَيَّام وَسَبْعَ لَيَال، ولَم يُكلّمهُ أحدٌ بكلمةٍ، لانهُم رأوا أن كآبتهُ كانَت عظيمةً".**

لكن لا يُمكننا التعميم والقولُ بأن جميع حالات ومواضِع الصمتِ في التوراة تحمل في طياتها مدلولاتٍ سلبية أو حزينة، حيثُ تُخبِرُنا الآية الثانية من المقطع الخامس والستين من سِفر المزامير: "**لكَ الصمتُ يُسبِّحُ يا الله**"، بمَعنى أنه حين تتملّكنا حالةٌ من الرهبة أمام عظمة الله عزّ وجلّ ورحابة كونه وأبدية زمانِه، فإنّ أعماق مشاعرنا وعواطفنا تكونُ في حالةٍ من الصمت أمام تلك العَظَمَةِ لأنَّها تعجزُ عن التعبيرِ بالكلمات عمّا نراه. كما كانَ كبار الحاخامات يُقدّرون جِداً حالة الصمتِ والسكون، ووصفوها بأنها "**سِياجُ الحِكمة**" (تبعاً لما هو مذكور في كِتابِ مِشناه أڤوت 3:13). بمعنى آخر، كان كبار الحاخامات يؤمنون بأنه إن كانَ الكلامُ يُعادِلُ قِرشاً فإن الصمتَ يُعادِلُ قِرشَين (تبعاً لما يذكرُ التلمود في مچيلاه، باب 18 أ). وفي هذا السياقُ يقولُ الحاخام شمعون بن غاملئيل: "لقدُ أمضيتُ طيلةَ حياتي بين الحُكَماء، ولم أَجِد شيئاً أعظمَ من الصَّمت" (تبعاً لما هو مذكور في كتاب مِشناه أڤوت 1:17).

أضِف إلى ذلك أن تأدية الشعائر والمناسك والصلواتِ التي كان يؤديها الكهنةُ في الهيكل اليهودي المُقدّس كانَت جميعها مُحاطة بالصّمت، حيث كان اللاويّون يُنشدون الأناشيدَ في باحات الهيكل، في حين لم يكُن الكهنةُ يُنشِدون أو يتحدّثون إطلاقاً عِندما كانوا يُقدّمون القرابين لله عزّ وجل، خِلافاً لنظرائهم من رجال الدين في المُعتقدات القديمة. وفي هذا السياق يوضحُ الباحِثُ والمؤرّخُ بِسرائيل كنول حالةَ "صمت المُقدَّس"، وهو الأمر ذاته الذي ما يؤكد عليه كتاب الزّوهار (الذي يُعتبر مرجِعاً للقبَلاه والتصوّف اليهودي)، مُعتبراً أن هذا الصمتَ هو بمثابة الوَسَطِ الذي يُبنى فيه الهيكلان السماوي والأرضي (ج 1 ص 2).

كما يوجدُ الكثير من اليهود الذين صَقَلوا مهارةَ الصمتِ باعتبارها أسلوباً لتحقيق الانضِباطِ الروحيّ، ومنهُم أتباعُ حركة اليهودية الحسيديّة* من براتسلاڤ، والذين ينتهِجون أسلوبَ التأمّل والتفكّر في البراري. وهُناك مجموعاتٌ أخرى تنتهِجُ أسلوباً يُدعى **تَعنيت ديبور** (الصيامَ عَن الحديث)، بمَعنى الامتناع عن الكلام. أضِف إلى ذلك أن واحدة من أهم الصلوات اليهودية وهي صلاةُ الوقوف (صلاةُ العَميداه باللغة العبرية) توصَفُ بأنها **تفيلاه بِلاحاش** (الصلاة الصامِتة) وذلك لأنها لا تُؤدّى جَهرا بِل يُؤديها المُصلون في قرارة أنفسهِم، فهي صلاةٌ يعودُ أصلها إلى حَنا/حَنه التي كانَت تُصلّي في قرارة نفسِها محرّكةً شفتيها فقط في صمتٍ وهي تدعو الله عزّ وجلّ ليرزُقها بطفل تبعاً لما تذكره الآية الثالثة عشر من المقطع الأول من سفر صموئيل الأول: "**كانَت تتكلمُ في قلبِها، وشَفَتاها فَقَط تتحرّكان، وصوتُها لَم يُسمَع**".

إنّ الله عزّ وجلّ يَسمُع بكاءَنا حتى ولو كان بكاءً صامِتاً، ففي القِصّة الحزينة التي تتحدّثُ عن ساره وطلبها من زوجها أڤرَهام/إبراهيم أن يطرُدَ هاچر/هاجَر وابنها، نجدُ أن التوراة تُحدّثنا بأنها كانَت تَبكي عندما بدأت المياه تَجري تحت قدمي ابنِها الصغير يشمَعئيل/إسماعيل بينَما هو على وشكِ أن يُفارق الحياة.

بالتالي سَمِع الله عزّ وجلّ "**صوتَ الرّضيع**" بحسب ما تُخبرنا الآيات 16-17 من المقطع الحادي والعشرين من سفر التكوين. وفي وقتٍ سابقٍ عندما جاء الملائكة لزيارة أڤرَهام ليُخبروه بأن زوجته ساره ستحمِل قريباً، كانَت ساره تضحك في قرارةِ نفسها، لكن الله عزّ وجلّ سمِع صوت ضحكتها رغم أنها كانت تضحك بصمتٍ، مثلما تُخبرنا الآيات 12-13 من المقطع الثامن عشر من سفر التكوين. بالتالي فإن الله عزّ وجلّ يُنصِتُ إلى أفكارنا حتى لو لم نُعبِّر عنها بالكلامِ جَهراً.

***مُلاحظة توضيحيّة من المُترجم:** حركة الحَسيديم هي حركة دينية يهودية روحانية إحيائية أرثوذوكسية ظهرت في أوروبا الشرقية (أوكرانيا) في القرن الثامن عشر على يد الحاخام يسرائيل بن إليعيزر والذي يُعرف باسم الحاخام بَعال شيم توڤ. ويستند أتباع الحركة الحَسيدية (أو الحَسيديّون، وهي كلمة تعني الورعين أو الأتقياء) في تعاليمهم الدينية إلى الطريقة اليهودية الصوفية المعروفة بالقَبالة وذلك بهدف إيجادِ تجربة روحية بديلة ومباشرة للوصول إلى الله عز وجل من خلال الصلاة والتأمل وغيرها من الطقوس بإرشادٍ روحي من الرّبيي (بمعنى القائد الروحيّ صاحب الكاريزما والتأثير). الحركة الحسيدية تعتبرُ بمثابة توجّهٍ روحاني بديل للتوجهات الدينية الرسمية والتعليمية لممارسة المُعتقد اليهودي والتي ظلّت موجودة حتى ظهورها في تلك الفترة. وخلال أحداث المحرقة (الهولوكوست) كادت الحركة الحسيدية على وشك الاندثار، لكن العشرات من الفِرقِ الحسيدية لا زالت موجودة حتى يومنا هذا ويتركز وجودها في دولة إسرائيل والتجمعات المدنية في نيويورك.

إن الصمتَ الذي تتحدّثُ عنه الديانة اليهودية هو "صمتُ الإصغاء"، فالإصغاءُ واحِدٌ من أسمى وأرقى الفنون الدينية على الإطلاق، لأنه يَعني أن نُفسِحَ المجال للآخرين حتى يتكلّموا ويُسمَعوا. ومثلما وضّحتُ سابِقاً في مستهلّ شَرحي لِكتابٍ من كتب الأدعيةِ والصلوات اليهودية (سيدور) [5]، فإنّه لا توجدُ كلمة إنجليزية ترادِفُ تماماً الفعل العبري "ش.م.ع"، لأنه فعل يَحمل في طياته عدداً من المعاني، ومنها معنى الاستِماع والإصغاء والانتباه والفَهم والاستيعاب والردّ أيضاً. وهذا الفِعلُ كان أحد أبرز العناصر الموجودة في العهدِ بين الله عزّ وجلّ وبني يسرائيل في جبل سيناء، حينَ ردّد بنو يسرائيل مرّتين قائلين: **"جميَع ما أمرَ الله نَقبَلهُ ونَفعلُهُ ونَسمَعهُ"** تبعاً لما تذكره الآية السابعة من المقطع الرابع والعشرين من سفر الخروج، بالتالي كان الفِعل **"نِشمَع"** بمعانيه الأربعة وهي الإصغاءُ والسمعُ والانتباه والتحدّثُ هوَ التصرف الدينيّ الرئيسيّ في هذا الموضِع.

وعليه نجدُ أن الديانة اليهودية ليسَت مُجرّدَ ديانة أفعالٍ وأقوال، بل هي أيضاً ديانةُ إصغاء واستماع، لأن الإيمان الحقيقيّ يتمثّلُ في **القُدرة على الإصغاء للموسيقى الكامنةِ وراءَ الضجيج**، وخير مثال عليها هي الموسيقى الصامتة للسماواتِ والتي يتحدّثُ عنها سفر المزامير عبر آياته في المقطع التاسع عشر، هذه الآيات التي تقول:

"اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْه
يَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ يُذِيعُ كَلاَماً، وَلَيْلٌ إِلَى لَيْل يُبْدِي عِلْماً
لاَ قَوْلَ وَلاَ كَلاَمَ. لاَ يُسْمَعُ صَوْتُهُم
فِي كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ"

في الحقيقة كان هذا هو صوتُ التاريخ الذي التَفَت لهُ الأنبياء، وهو صوتُ الأوامر والوصايا التي أصغى لها بنو يسرائيل فوق جبل سيناء، وهو الصوتُ ذاته الذي يواصِلُ مُخاطبتنا عبر مَرّ الزمان. إنني أشعرُ أحياناً بأن البشر في العصر الحديث يجِدون إشكالية في مبدأ "التوراة المُنزلة من السماء"، ليسَ بسبب الاكتشافات الأثرية والتاريخية التي تُثبت ذلك دون أدنى شك، بل لأنهم فقدوا القُدرة على الإصغاء إلى صوت العُلوّ والرقيّ الروحاني، هذا الصوتُ الذي يتعدّى كونه مُجرّد صوتٍ بشريّ.

ومن المذهل أيضاً أن نجِد بأن عالماً مثل سيغموند فرويد قد استوحى منهجيته للتحليل النفسي من وَحي شكلٍ من أشكالِ الروحانيّة في اليهودية، بالرغم من حالة المدّ والجَزر في علاقته بديانتهِ اليهودية، وهو نفسهُ من أطلق على هذه المنهجية اسم "العلاج بالكلام"، رغم أنها في الحقيقة تَعني **"العِلاج بالاستِماع"**، وهذه هي المنهجية التي تعتمِدُ عليها مُعظمُ أساليب العلاج النفسي الفعالة بشكل عام.

والسؤال الذي يطرحُ نفسه هُنا: هل يمتلكُ عالمنا اليهوديّ آذاناً صاغيةً في وقتِنا الحالي؟ هل يُصغي الأزواج لبعضهم البعض؟ هل نُصغي كآباءٍ لأبنائِنا؟ هل نُصغي كقادةٍ للمخاوفِ الكامنة في صدور أولئك الذين نطمحُ لأن نقودَهُم؟ هل نمتلكُ القُدرة على استيعابِ مشاعر الألم التي يشعرُ بها من يعتقدون بأنهُم في حالة إقصاءٍ من مُجتمعاتهم؟ هل بإمكاننا أن نَدّعي حقاً باننا نُصغي إلى الصوت الإلهيّ بينما نحنُ غيرُ قادرون على الإصغاء إلى صوت إخوتنا البشر؟

وفي ختام هذه المقالة، أريدُ أن أستذكرَ بعضاً من أبيات قصيدة للشاعر البريطاني ويستن هيو أودن التي قالها في ذِكرى وفاة ويليام بِتلر ييتس، حيث كتبَ قائلاً:

"فجّر النّبع الشّافي
في صَحارى القَلب
وعلّم الإنسانَ الحرّ
كيف يُسبّحُ بالحَمْد في سجن أيامه"

إننا بحاجةٍ ماسّة من وقتٍ لآخرَ للابتعادِ عن الصخب والضجيج الذي يُحدثهُ عالمنا الاجتماعي لكي نخلق في قلوبنا حالةً من الصمتِ والسكونِ الذي يشبهُ سُكونَ الصحراء، فمن خلال هذا الصمتِ سيُصبحُ بمقدورنا الإصغاء جيّداً إلى **"قُلْ**

دْمَامَاه دَقَّاه"، أي الصوت الخافِت للهِ عزّ وجلّ، ذلكَ الصوتُ الذي يُقول لنا دوماً بأنهُ يوجدُ من يُحبّنا ويُصغي إلينا، وبأنه عزّ وجلّ يحتضننا في رحاب حضنه الأزلي، وبأننا لَسنا وحيدين أياً كانَت الظروف.[6]

---

1. المصدر: *Mekhilta, Yitro, Baĥodesh* 1
2. نفس المصدر، ص 5
3. نفس المصدر.
4. تلفزيون البي بي سي البريطاني. عُرِضَ هذا الفيلم أول مرة سنة 1977م.
5. كتاب صلوات وأدعية نشرته دار كورين للطباعة والنشر (*Koren Shalem Siddur*).
6. لقراءة المزيد عن موضوع الإصغاء، يُرجى الرجوع للمقالة الأولى (نصّ بريشيت) الموجودة في هذا الكتاب والتي تحمل عنوان "فنّ الإصغاء"، بالإضافة إلى المقالة التي تحمل عُنوان "روحانيّة الإصغاء" (نصّ عيقِف)

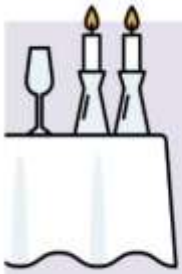

حَولَ مائِدةِ يومِ السَبتِ المُقَدَّسِ: أَسئِلةٌ لِلتَّأَمُلِ

1- في أي مكانٍ آخر كان من المُحتمل أن ينزّل الله عز وجل التوراة على بني يسرائيل؟ وبرأيكَ لماذا اختار الصحراء عوضاً عن اي مكان اخر؟
2- لماذا برأيك يعتبرُ الاصغاءُ مهماً للغاية؟ ولماذا يعتبر "أسمى الفنون الدينية"؟
3- هل تواجه صعوبة في الإصغاء؟ وكيف يمكنك تحسين قدرتك على القيام بذلك؟ هل تعتقد اننا بحاجة "لرؤية الله عز وجل" حتى نقوّي صِلتنا به؟

● These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full edition at
https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/bamidbar/the-sound-of-silence/

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism*, *Bar Ilan University*